جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية ـ لغة

قراءات في كتاب سيبويه

"التعريف بسيبويه وكتابه"

أ. د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة الثانية

باب ما الكلم في العربية

٢٠٢٤ م ١٤٤٦ هـ

شرح المقدمة الأولى : هذا باب علم ما الكلمُ من العربية ... إلخ

قال سيبويه : " هذا باب علم ما الكلمُ من العربية ، فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل . فالاسم : رجل ، وفرس ن وحائط . وأما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعِ ومِكُث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً: يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ، فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله، والأحداث نحو الضَّرْبِ والحمد والقتل. وأما ما جاء لمعنًى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو: ثُمَّ، وسَوْف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها " انتهى .

تضمن هذا الباب بيان الاسم والفعل والحرف ، مع ذكر الأمثلة ، وأنَّ المصدر أصل المشتقات، ففي قوله : (هذا) ذكر أبو سعيد السيرافي أنَّه إشارة إلى ما هو بمنزلة الحاضر ، أو بعبارة أخرى : إشارة إلى منتظر قد عُرف قربه كما تقول : هذا الجيش مقبل ، وهذا الشتاء جاء .

و (باب) خبر (هذا) و(علم) مضاف إليه ، و(ما) اسم استفهام مبتدأ بمعنى (أي) و (الكلم) خبر - وفيها وجوه أخرى - و (علم) معلق عن العمل ؛ لمجيء ما له صدر الكلام (الاستفهام) . ونكّر لفظ (باب) حتى يدل اللفظ على العموم والشمول ؛ ليشمل كل ما عرفته العربية .

وإنّما قال الكلم ولم يقل الكلام ؛ وذلك لأنّ الكلام يقع على القليل والكثير ، والواحد والاثنين والجمع ، أمّا (الكلم) فهو اسم جنس جمعي ، واحدهُ كلمة ، وأراد سيبويه أن يُبيّن الاسم والفعل والحرف ، وهي جمع ، ولم يقل: الكلمات ؛ لأنّها جمع مؤنث تدل على القليل، وذكر الكلم، فالكلم أخفّ في اللفظ ، وأكثر دلالة ، وقال السيرافي موضحا : وأما الكلم فقد يسأل السائل فيقول: لِمَ لَمْ يقل: الكلام، أو الكلمات؟ الجواب أنّ الكلام يقع على القليل والكثير، والواحد والاثنين والجمع، والكلم: جماعة كلمة ... وإنما أراد سيبويه أن يبين الاسم والفعل والحرف، وهي جمع، فأراد أن يعبر عنها بأشكل الألفاظ بها وأشبهها بحقيقتها، ولم يقل (الكلمات) ؛ لأنها جمع مثل الكلم، والكلم أخف منها في اللفظ، فاكتفى بالأخف عن الأثقل، إذ لم يكن في أحدهما مزية على الآخر .

وهناك فرق بين الكلم والكلام والقول ، فالكلام كما قال أبو البقاء في التبيين : هو عبارةُ عن الجُملة المُفيدة فائدةً تامةً، كقولك: (زيدُ منطلقٌ)، وقال ابن مالك في شرح الكافية : الكلام عند النحويين عبارة عن كل

لفظ مفيد، والمراد بالمفيد: ما يفهم منه معنى يحسن السكوت عليه. والقول: يطلق على الكلمة المفردة، وعلى المركبة بلا فائدة، وعلى المركب المفيد، قاله ابن الناظم.

فالكلام المصطلح عليه عند النحاة: عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، واللفظ جنس يشمل الكلام والكلمة والكلم ويشمل المهمل كـ (ديز) والمستعمل كـ (عمرو)، ومفيد أخرج المهمل ،والكلم وهو ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه نحو إن قام زيد.

ثم قال **(من العربية)** و(من) لها معنيان في هذا السياق كما ذكر السيرافي ، فربما تدل على التبعيض أو بيان الجنس ، فإن كانت للتبعيض فعلى تقدير :" أن باب الكلم بعضُ أبواب العربية، أن يكون أراد بالكلم الاسم والفعل والحرف الذي جاء لمعنى، وهو ما ضمنه هذا الباب الذي ترجمه به، وهذه الجملة هي اسم وفعل وحرف، هن بعض العربية؛ لأن العربية جملة وتفصيل " وإن كانت لبيان الجنس فعلى تقدير: بيان جنس الكلم؛ وذلك ببيان نوعه ، وهو العربية . فقال " أنه ذكر (الكلم) التي هي شاملة على جميع موضع الكلام، وأراد بعضها، لأنه جائز سائغ ذكر اللفظ العام وإرادة البعض، ثم بيّن البعض المراد، خشية اللبس، فكأنه لما قال:(ما الكلم) وهو مريد لبعضها خشي ألا يُفهم المعنى الذي هو مراده، فقال: (من العربية)، تبيينًا لما أراد، وتلخيصا لما قصّ".

فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

أما دخول الفاء فقد ذكر السيرافي أنّها دخلت افي قوله (فالكلم) ؛ لأنّه جواب للتنبيه الذي ذكره في قوله (هذا) ؛ وذلك لأنّ التنبيهَ في معنى انظر وتنبّه، فكأنّه قال : انظر ، فالكلم اسم وفعل وحرف . وهذا التقسيم كان بحسب الاستقراء التام لكلام العرب ، فلم يخرجْ أحدٌ بعده عن هذا التقسيم سوى اختلاف يسير في المصطلح. وهذا الانحصار عقلي لا يختص بلغةٍ ما كما ذكر ابن الخباز

فالاسم : رجل ، وفرس وحائط ، وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنيت لِما مضى ، ولِما يكونُ ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع.

هنا سيبويه عرّف الاسم بالمثال، فبأمثلته للاسم أشار إلى تقسيمه من حيث الجمود والاشتقاق ومن حيث العاقل وغيره فقال: (رجل وفرس وحائط)، ولم يحدّه ، وذكر السيرافي حدّه فقال: " إن سأل سائل عن حد الاسم، فإن الجواب في ذلك أن يقال: كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصّل، من مضي أو غيره فهو اسم".

ثم عرّف سيبويه الفعل والحرف بالشرح ، فقال " وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء " يقصد به أن المصدر هو أصل المشتقات ، فلفظ أحداث الأسماء أي : المصادر وبيّن أن الفعل يقسم على ثلاثة أزمنة : ماض ، ومستقبل ، وكائن في وقت النطق ولم ينقطع ، أي : الحال أو الحاضر ، أي : كائن في وقت النطق ، وهو الزمان الذي يقال عليه الآن الفاصل بين ما مضى ويمضي . وقال(أمثلة) وهو يقصد أبنية لأنَّ أبنية الأفعالِ مختلفة.

وذكر العكبري في التبيين عن مذاهب النحويين ، أنّ الأمثلة بالأفعال أحقُّ منها بالأسماء والحروف، وبيّن أنّها مشتقّة من المصادِر . إذن الأزمنة بمصطلحاتها هي:

لما مضى = الماضي

لما يكون ولم يقع = مستقبل

ما هو كائن لم ينقطع = الحال

ثم قال : **فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعِ ومِكُث وحُمِدَ.**

هنا ابتدأ بأمثلته المقصودة حيث ذكر في الماضي (ذهَبَ ، وسمِع ، ومكُث ، وحُمد) فذهب أشار به إلى المضي مع بنائه على فعَل ، وسمِع على فعِل ، وحُمد على فُعِل، فبدأ بالفتح وهو الأخف ثم مكسور العين ليدل ، مع دلالتهما على البناء للمعلوم ، ثم ذكر (حُمد) للإشارة إلى الفعل الذي يبنى للمجهول ، فكانت تلك الأمثلة دقيقة مقصودة بحركاتها وسكناتها فلذلك ذكرها بأوزان مختلفة . ففي ما ذكر قصدية واضحة ، فقد بدأ بالأفعال المبنية للمعلوم، ثم المبنية للمجهول .

ثم قال موضحا وشارحا : **وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء.**

إذن فعل الأمر للمستقبل هو ما أشار إليه بقوله (**مالم يقع**) فذكر: اذهب واقتل واضرب ، فهذه أفعال إنشائية. وذكرَ أنواع هذه الأفعال وهي من الأفعال العلاجية ، فيها شيء من الحسّية للتدليل على الفعل ؛ لذلك يريدون الفعل وأثره.

ومخبراً: يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ.

فذكر يقتُل ووزنها يفعُل ، ويذهَب ووزنها يفعَل ، ويضرِب ووزنها يفعِل ، وذكر أيضا بأنَّ الفعل المبني للمجهول لا يقتصر على الماضي فحسب ، بل في المضارع أيضا ، فذكر يُقتل و يُضرَب.

وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ

وهذا هو الزمن الحاضر ، فهو مالم ينقطع وقت النطق أو التكلم ، فقوله : (وهو كائن) أي موجود ومستمر إذا أخبرت ، نحو : يسافر ، يقول، يمشي، وهو يمارس هذا الأمر فعلاً وقتَ نطقك بالتعبير عن ذلك.

ثم قال : **فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة ستبيَّن إن شاء الله.**

هنا سيبويه يريد أن يقف القارئ لكتابه على كل دقيقة من دقائقه ، ومن ثَمّ من منهجه أن يكرر الكلامَ ويكرر بعض الفقرات للتأكيد وللتثبيت . وترى لديه الإحالة واضحة جدا ، فهو يحيل القارئ على ما سيأتي ، وهذا يدلُّ على منهجية دقيقة ومنظمة كانت في ذهنه ، فهو يريد أن يذكر كل شيء في مكانه عن قصد دقيق منهجيّ.

والأحداث نحو الضَّرْبِ والحمْد والقتْل. هذه هي المصادر، فالمصدر يدل على الحدث فقط ، والفعل يدلّ على الحدث والزمن معاً.

وأما ما جاء لمعنًى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو: ثُمَّ، وسَوْف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها.

هنا يريد الحرف ، وقد حدّ الحرف بالشرح ، فقال : وما جاء لمعنى ...إلخ ، ثم مثّل له بـ(ثم) التي هي حرف عطف يدل على الترتيب مع التراخي وهذا معنى ، و(سوف) تدل على الاستقبال، وواو القسم واللام الجارة ، وكل هذه حروف تأتي لمعانٍ وقد اكتفى ببعضها بداية ، لكنّهُ تكلّم عن باقي الحروف في مواضع من كتابه.

فالحرف هو القسم الثالث من الكلم الثلاث، وينحط عن رتبة الفعل كما انحط الفعل عن رتبة الاسم، وذلك أن الاسم يخبر عنه وبه كما علمت، والفعل يخبر به، ولا يخبر عنه، والحرف لا يخبر به ولا عنه، وحده أنه كلمة تجيء لمعنى في غيرها. قاله ابن الخشاب في المرتجل.